

مقدمة

يحتل أدب الرحلات مكانة مهمة فى أدبيات التراث العربى والإسلامى بصفة خاصة ، فالرحالة العرب والمسلمون - منذ العصور الوسطى وحتى العصر الحديث - تركوا لنا ذخائر متنوعة من المعارف والمدونات التى تَمَّتْ إلى الجغرافيا والتاريخ بأوثق الصلات ، حيث شملت صورا وتقارير حية ووافية عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعمرانية للممالك والبلدان والأصقاع والأقطار والمدن التى زاروها وغير ذلك ؛ مما لا يزال يعتبر حتى اليوم مراجع أساسية فى المكتبة العربية ، ونظرا لقيمتها التاريخية تمت ترجمتها منذ وقت مبكر إلى عدد من اللغات الحية .

هكذا تعاضم شأن الرحلات العربية مع الفتح الإسلامى وعلى امتداد رقعة الدولة فى مشارق الأرض ومغاربها ، وكان كل راحل يحدث بما يرى ويصف ما شهد ، فكانت أخبار الرحلات والأسفار مثبتة فى كتب التاريخ وتقويم البلدان وفى سير العلماء ونحوها .

ثم نشأت على مر الزمان طائفة من الرحالة جعلوا مقصدهم وصف أسفارهم ، وتسجيل تجاربهم فى كتب يجد قارئها من الأخبار المتصلة ، والأوصاف المتتابعة ، والتدقيق فى تسجيل الحوادث والمشاهد ما لا يجده فى كتب التاريخ والسير التى تعنى أول ما تعنى بالحوادث مشهودة ومروية ، كما تتضمن وصف البلاد وحال أهلها . وعرفت فى العالم الإسلامى الكتب التى سميت الرحلات ، وهى فى جملتها وصف إنسان لأسفاره وما شهد فيها من أرض وبلاد وأم ودول وملوك وعلماء وعادات وأخلاق .

وظل العرب والمسلمون هم الحائزون قصب السبق فى ميدان الرحلات

والاكتشافات حتى القرن الخامس عشر الميلادي، وكان من الطبيعي أن تحظى مدينة القدس بمكانة خاصة في أجنحة كل الرحالة العرب - وأيضاً الأجانب - والذين أكدوا - رغم اختلاف وجهات النظر فيما بينهم - مكانة القدس الدينية والتاريخية على مر العصور ودور شعب فلسطين الذي بنى القدس ورعاها وحماها وخدم مقدساتها وتحمل صد موجات الاحتلال والغزو للمدينة المقدسة، ويعد الاحتلال الإسرائيلي الحالي الاحتلال الحادي والأربعين للمدينة، بما يعنى أن مصيره سوف يكون مصير موجات الاحتلال السابقة .

ومن أقدم الرحلات المعروفة إلى القدس رحلة الشاعر الفارسي ناصر خسرو في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وبعدها تابعت رحلات الإدريسي، وابن جبير، وابن بطوطة، والمقدسي . . . الخ .

وثمة وقائع وثوابت وبراهين وشواهد أكدتها كتابات هؤلاء الرحالة بشأن عروبة القدس، التي بناها الكنعانيون العرب منذ خمسة آلاف عام .

وعروبة القدس تترك بصماتها على الأرض والمكان والإنسان وعلى آثار التاريخ والحضارة على مر العصور والأجيال . . أكد هذا المؤرخون والرحالة العرب والأجانب، وسجلوا هذا في مخطوطاتهم، ابتداء من أسماء المدينة العربية الأصل إلى أغلبية السكان العرب على مر الزمن وحتى الآن .

ويسجل هذا الكتاب شهادات عدد من هؤلاء الرحالة العرب والمسلمين والأجانب تدعم توثيق عروبة القدس وذلك من واقع المشاهدة والرؤية لمعالم المدينة المقدسة . . الأرض والإنسان، الأثر والعين، التاريخ والجغرافيا .

ومن الرحالة العرب والمسلمين: ناصر خسرو، الإدريسي، ابن جبير، الهروي، أسامة بن منقذ، ابن بطوطة، إلى جانب رحلات بعض العلويين الحضارم . ومن الرحالة الأجانب: الألماني فيلكس فابري، والفرنسي شاتوبريان، إلى جانب رحلة المبشرين الأمريكيين إلى القدس .

وشهادات هؤلاء الرحالة العرب والمسلمين والأجانب تسهم في الرد على

الادعاءات الإسرائيلية التي يروج لها رؤساء إسرائيل ابتداء من ديفيد بن جوريون إلى أرييل شارون، ويدعون وجود التاريخ المتصل لليهود في فلسطين، وارتباط القدس باليهود دون غيرهم، وعن كونها عاصمة لدولتهم بناها الملك داود. وتقفز هذه المقولة فوق تاريخ القدس الممتد على مدى قرون قبل تأسيس مملكتي داود وسليمان - عليهما السلام - كما تقفز فوق تاريخ القدس العربية الممتد على مدى قرون بعد سقوط تلك المملكة، كما تحاول هذه المقولة تجاهل حقيقة أن النبي داود وأسرته هم من العبرانيين الذين ينتمون إلى الجنس العربي، وأنهم اندمجوا في شعب فلسطين فأصبحوا منه وإليه ينتسبون، وأن أنبياء بني إسرائيل هم أنبياء الله يؤمن بهم جميع المؤمنين بالله يهود كانوا أو نصارى أو مسلمين .

د . أحمد يوسف القرعى